

فلسفة الحب عند أفلاطون
قراءة في محاوره الأدبية
Plato's Philosophy of Love
A Reading of the Symposium

د. فطيمة الهادي داوب

Dr. Fatimah Al-Hadi Daoub

قسم الفلسفة- كلية الآداب- جامعة الزاوية، الزاوية، ليبيا

Department of Philosophy – Faculty of Arts – University of Zawia

af.daoub@zu.edu.ly

نشر الورقة: 2026-06-02

قبول الورقة: 2026-05-20

استلام الورقة: 2026-04-22

الملخص

يعد الحب من المفاهيم والظواهر التي اهتم بها الإنسان منذ أقدم العصور، وانشغل به المفكرون والشعراء على مر التاريخ، ويتجلى لنا في محاوره المائدة لأفلاطون والتي تعتبر من أروع المحاورات الخالدة في الفكر الإنساني التي وضع فيها أفلاطون فلسفته في الحب، والتي اشتملت على ألوان متعددة من الفكر والأدب والفن والجمال. فالحب من التجارب الإنسانية الحاضرة في الأسطورة والشعر، وهو حالة وجدانية إبداعية أحياناً وصوفية أحياناً أخرى، تؤثر في الانفعالات والخيال الإنساني، وتجربة إنسانية تفيض بالأحاسيس والرغبات .

تعتبر مائدة أفلاطون من المراجع الرئيسية في فلسفة الحب، حيث استحضره بوصفه (إيروس) الذي يعد إله الحب في الميثولوجيا اليونانية، وقد وظفه أفلاطون كتجسيد للرغبة الإنسانية الجامحة لإشباع رغباته.

يهدف هذا البحث إلى تحليل أفكار أرسطو حول المأدبة، والتمثيل الأسطوري الذي يشير إلى طبيعة وعظمة الإيروس ، فلم تكن المأدبة مجرد سرد لمجلس طرب في أثينا أو نقاش عابر حول العاطفة، بل كانت بياناً تأسيساً لفلسفة الوجود الإنساني، لقد علمنا أفلاطون من خلالها أن الحب الحقيقي هو طاقة خلاقة تحرر العقل من أسر الحس وتسمو به نحو إدراك الخير الأعلى؛ وبهذا، تظل هذه المحاورات الخالدة منبراً حياً يستسقي منه الفكر البشري معاني الجمال والكمال حتى يومنا هذا.

كلمات مفتاحية: المأدبة ، أفلاطون ، الحب، إيروس ، فلسفة

Abstract

Love is a concept and phenomenon that has preoccupied humankind since ancient times, captivating thinkers and poets throughout history. It is exemplified in Plato's Symposium, considered one of the most magnificent and enduring dialogues in human thought, where Plato presented his philosophy of love, encompassing diverse

aspects of thought, literature, art, and beauty. Love is a human experience present in myth and poetry; it is sometimes a creative and emotional state, and at other times a mystical one, influencing human emotions and imagination. It is a human experience overflowing with feelings and desires.

Plato's Symposium is considered a key reference in the philosophy of love, as he invokes Eros, the god of love in Greek mythology, whom Plato employs as the embodiment of humanity's unbridled desire to satisfy its passions.

This research aims to analyze Aristotle's ideas about the Symposium and the mythological representation that points to the nature and grandeur of Eros. The Symposium was not merely a recounting of a raucous gathering in Athens or a casual discussion of passion, but rather a foundational statement of the philosophy of human existence. Through it, Plato teaches us that true love is a creative energy that liberates the mind from the shackles of the senses and elevates it towards the realization of the highest good. Thus, this timeless dialogue remains a living source from which human thought draws meanings of beauty and perfection to this day.

Keywords: Symposium- Plato- love- Eros - philosophy

مقدمة

يرتبط الحديث عن الحب فلسفيًا بالحضارة اليونانية ارتباطاً الفلسفة نفسها بهذه الحضارة. تنقسم كلمة الفلسفة (Philosophy)- وهي مشتقة من اليونانية- إلى قسمين (Philo) بمعنى الحب، و (Sophia) بمعنى الحكمة- أي حب الحكمة، والإغريق هم من أطلقوا على الحب كلمة (Philo)، ودلت كلمة الفلسفة عندهم على حب الحكمة، لأن الإنسان يسعى لفهم فلسفة الحياة، أي اكتشاف أصل الحياة والوجود، وكان الإغريق يشيرون إلى الحب الجسدي عندهم بمعنى إيروس (Eros)، لأنهم أطلقوا على إله الحب في أساطيرهم الإله إيروس وتصوروا هيئته ورأوا فيه أنه رمز للقوة والصداقة، ووصفوه بالقسوة والغرور، واعتادوا إطلاق كلمة أجابيه (Agape) على الحب الروحي، واتخذوا من هذه الأسطورة رمزاً في مسارحهم وقصصهم ليعبروا عن الحب.

وتُعد مأدبة أفلاطون مرجعاً أساسياً في فلسفة الحب، وهي تشتمل على أفانين شتى من الفن والأدب والفلسفة، ويصفها مؤرخو الفلسفة اليونانية بأنها تجمع بين الجد والجلال، وتتواصل فيها الكوميديا حتى الهزل، كما تجمع بين النظم الشعري والمسرحية، وفوق ذلك فهي نص أساسي في الفلسفة، وهي- مع ذلك- أقل المحاورات صعوبة من الناحية الفلسفية. وما يهمننا في هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيسي وهو: ما هي أهم آراء الفلاسفة والأدباء والشعراء في اليونان القديم عن الحب ونشأته ودوره في الحياة؟ وما هو الاختلاف الجوهرى بين الخطابات السابقة على سقراط وخطاب سقراط في المأدبة؟، وتأتي أهمية هذه الدراسة من حيث هي محاولة لتقديم محاور من أهم المحاورات التي كُتبت حول الحب في الثقافة اليونانية، وتعتبر دراستها ذات أهمية من أجل فهم التصورات الفلسفية حول الحب بصفة عامة، نظراً للتأثير الكبير لهذه الحضارة اليونانية على تاريخ الفكر الفلسفي بأسره.

أما عن المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج التحليلي المقارن، حيث قامت الباحثة بتحليل ومقارنة مفاهيم ونماذج وآراء مختلفة عند كلاً من الفلاسفة والشعراء والأدباء والخطباء في المأدبة.

وبناءً على الإشكالية والمنهج المتبع، تم تقسيم البحث إلى الآتي:

1- طبيعة الحب في الثقافة اليونانية

إنَّ أيَّ مناقشة فلسفية حول الحب تبدأ بالحديث عن طبيعته، فقد رأى بعض الفلاسفة أن الحب لا يمكن التعبير عنه منطقياً أو إدراكه بالعقل، أما النقاد لهذه النظرية فرأوا أن الحب يمكن التعبير عنه، فهو إخراج الإنسان لمشاعره التي تتحدى العقل، وفي اللغة اليونانية يُعبّر عن الحب بعدة مصطلحات، مثل:

أ- يستخدم مصطلح فيليا (Philia) عادةً للإشارة إلى الصداقة المقربة والولاء والتقدير للآخرين، ولم يقتصر مفهوم فيليا عند اليونان على الولاء والتقدير للأصدقاء فقط، وإنما على الولاء للأسرة والمجتمع بل والعمل أيضاً، ويرى أرسطو أن مصطلح فيليا يُعبّر عن الدافعية والتحفيز، كما يعبر فيليا بأنها تشارك الأصدقاء في أمورهم وتصرفاتهم، وبأنهم لا يملكون الضغائن والأحقاد تجاه بعضهم البعض، كما أنهم يعجبون ببعضهم البعض، فلا تنبثق فيليا من العدوانيين والثرثارين والظالمين، وهو حب الصداقة أو الحب بين الأقارب الذي يخلو من كل اشتها جنسي، وعندما تحدّث أرسطو عن فيليا التي تعني من بين ما تعنيه الصداقة، وهي تتجسد بطريقة مشوهة لا تليق بمقام الإنسان عندما يرتبط باللذة أو المنفعة، وتكون إنسانية فقط عندما ترتبط بالفضيلة التي تنقل الإنسان من حالة الحيوانية في علاقته بالآخر (الجنس) إلى حالة إنسانية قوامها الحب، حيث لا إفراط ولا تفريط، ومن ثم فالزوج ينبغي أن يختار أولاً وقبل كل شيء كصديق قبل أن يختار كجميل.

ب- ويفيد مصطلح ستورغي (storge) معنى الاعتناء بالمحبوب، بما فيه الاهتمام بمصالحه ورفاهه، على مثال ما نشعر به تجاه الأسرة أو الأصدقاء المقربين. لكن كلمة ستورغي لا تتقارب مع الرغبة الجنسية، خلافاً لكلمة أغابه (Agape) ما يجعلها أحياناً تُفسّر بكلمة «إحسان» وهي ضرب من ستورغي غير تمييزية، شاملة وغير جنسية.

ج- أما مصطلح أغابه (Agape)، فيشير إلى حب الله للإنسان، وحب الإنسان لله، ويمتد ليشمل حب البشر لبعضهم البعض، ويمكن القول إن مصطلح أغابه يسعى إلى الحب الكامل، أو الحب المثالي المُنزّه عن كل ما هو حسي أو مادي، وفي التقاليد اليهودية والمسيحية تم التعبير عن أغابيه بأنه على الإنسان أن يحب الرب من كل قلبه، وبكل روحه، وبكل ما بوسعه أن يبذله من تفاني مطلق. وقد استخدم لأول مرة كفعل من قبل الشاعر اليوناني هوميروس مؤلف الإلياذة والأوديسة في القرن السابع قبل الميلاد.

وتصف إحدى رسائل بولس إلى الكورنثيين فضائل الأغابه: "المحبة تتأني وترقُّ، المحبة لا تحسد، المحبة لا تتفاخر، ولا تنتفخ، ولا تُقبح، ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحتدّ، ولا تظنّ السوء... وتحتمل كل شيء، وتصدق كل شيء، وترجو كل شيء، وتصبّر على كل شيء" (سوزا، 2018، ص 13) إنها خصائص ربما يأمل المرء أن يجدها في أي علاقة إنسانية مرغوبة. لكن لهذا السبب بالذات، تفتقر الأغابه إلى سمتين واضحتين للحب كما نفهمه عادةً:

أولاً: الحب هو انتقاء شخص ما (أو على الأكثر عدد قليل من الأشخاص) بوصفه شخصاً مميزاً لا يمكن أن يحل أحد محله، إذ يؤدي أولئك الذين نحبهم دوراً في حياتنا لا تستطيع البشرية جمعاء أن تؤديه، على الرغم من أن الأغابه تطالبنا بمحابة جميع خيراتها، بحيث لا نستثني أحداً.

ثانياً: تتضمن وصية أن يحب واحدنا الآخر أن بوسع المرء فعل ذلك إرادياً، غير أن الحب (أو التوقف عليه) ليس أمراً نستطيع ببساطة اتخاذ قرار بشأنه.

- أما مصطلح إيروس Eros: هو أشهر أنواع الحب ، ويمثل العاطفة الجياشة والمكثفة، يحصل عندما يشعر الفرد بالرغبة والحب العاطفي، وهو يمثل العلاقة بين العاشقين، وذكر في الأساطير اليونانية أن إيروس هو إله الحب والجنس، لذلك كانوا يفضلون الابتعاد عنه لخطورته وفقدان السيطرة، لذلك حاولوا عدم إعطاء هذا النوع الأهمية الكبيرة بسبب سطحيته وتقلبه، فأفلاطون هو مؤسس هذا النوع من الحب، ويتحدث أفلاطون في «المأدبة» بنفحة ميثولوجية- أحياناً- عن الحب من حيث كونه شيطانياً؛ فالإله إيروس- كما يتصوره- هو إله الفقر بينيا Penia، وإله الرفاه بوروس Poros اللذان وقع اللقاء الجنسي بينهما على خلفية حفل حضرته بينيا تتوسل الصدقة، قبل أن يختلي بها بوروس المخمور جنسياً، وتكون المحصلة هي الإله إيروس، وتنعتي الأسطورة اليونانية بأنه نوع من أنواع الجنون(محسن، 2017).

وبالرغم من رؤية أفلاطون المعقدة نوعاً ما لهذا النوع إلا أنه ألهم العديد من الفلاسفة الباحثين في فلسفة الحب، فيرى في هذا النوع من الحب بأنه يساعد الروح لدى الفرد للوصول إلى الصورة النقية وأكثرهم مثالية برسم وتذكر الجمال فيتم تقدير جمال الطرف الآخر، ويبحث العاشق عن الجمال الداخلي لمعشوقه، فيخلد الجمال ويصل الطرفان إلى السعادة التي ينشدانها بإيجاد الحقيقة في شريكهم والشكل المثالي للجمال.

2- أكرانيا.. حب الضيف

يعبر مصطلح أكرانيا عن الحب الذي ينشأ من حفاوة الضيافة، وهو أحد أقدم أنواع الحب وأشهرها على الإطلاق، وتشترك جميع الثقافات على اختلافها في نفس مفهوم حب الضيافة، ويمثل المفهوم الرئيسي لهذا النوع من الحب احترام الضيف وحمانيته وإطعامه.

وبالرجوع للتاريخ، يبدو جلياً أن حب الضيافة متأصل في ثقافة الإنسان منذ الأزل، إذ يظهر ذلك في العديد من الأساطير والخرافات في الديانات القديمة. ومن بين هذه الأساطير والخرافات في الديانات القديمة: أسطورة الإله الذي سافر إلى الأرض على هيئة إنسان ثم زار منازل مختلفة لاختبار مدى حفاوة ضيافة أصحابها. يتمثل الموضوع المشترك الأساسي بين مختلف الأساطير في أنه لو أكرم المرء ضيفه، فإنه يحصل على مكافأة أو هدية من الإله، ويلقى عقابه لو أهانه.

ويوظف أفلاطون الأسطورة في محاورته لتوضيح بعض القضايا المعرفية والميتافيزيقية والأخلاقية، وهذا يدل على أن العلاقة بين الأسطورة والفلسفة علاقة تفاعل، وأنها كانت أداة فلسفية ذات وظيفة تربوية (Al-Farah.2025.P.289).

3- فيلاوتيا.. حب الذات

ويعني مصطلح «فيلاوتيا» حب الذات لضمان السعادة أو الرفاهية الشخصية. ولكن الغريب أن هذا النوع من الحب لم تثمن قيمته بتاتاً باعتباره- بالنسبة للبعض- عيباً أخلاقياً أقرب إلى الأنانية، ومع مرور الوقت، تبنى حب الذات دلالة إيجابية، ثم تطور شيئاً ليرتبط بمعاني مثل احترام الذات، وتأثيره المفيد على الصحة العقلية، لذلك على الفرد تخصيص وقت يعتني فيه بنفسه.

ولدَ هذا المعنى المفاهيمي الذي ارتبط بالحضارة اليونانية تنوعاً في فهم الحب، فتم بناء على ذلك التمييز بين الحب الميثولوجي، والحب الكوني، والحب الفلسفي- الأخلاقي، والحب الجنسي- الاستمتاعي.

يظهر هذا الغنى- على سبيل المثال- بالعودة إلى الميثولوجية اليونانية، مثلما هو معبر عنها في كتابات هوميروس Homère وهزيود Hésiode، حيث تحدث هذا الأخير في كتابه «نشوء الآلهة» عن إلهة الحب والجمال أفروديت Aphrodite، قائلاً: إنها مولودة من زبد البحر، ولعل في هذا القول ما يفسر أنثروبولوجيا ارتباط العشاق والمحبين بالبحر. يتحدث كذلك عن الإله إيروس Eros الذي تندمج فيه قوة الحب بجبروت الظواهر الطبيعية، وهو إله مسلح بالقوس والسهم، وهو الأمر الذي يفسر ارتباط هذه العلاقة بالوقوع في الحب، وقد يسمى هذا الإله «يامور» لدى الرومان، ويظهر في صورة هذا الإله جانبا الحب للذات يرتبطان به: الهيام الرقيق، وجنون الحب الذي يدمر العقل. وإذا كانت أفروديت تعني الثقة الهادئة، وقوة الحب، فإن إيروس يرمز إلى الشهوة الجامحة، والمداعبة، والتزق، والطيش (الألوسي، 1981، ص224).

وفي بداية معالجة هزيود لأصل العالم يجعل الحب كواحد من أقدم وأعظم الآلهة، معادلاً للأرض والسماء، أول زوجين، تزاجاً بفعل تأثيره. وقصة زواج الأرض والسماء أسطورة قديمة، ولذلك فكر هزيود تفكيراً منطقياً عندما استنتج أنه طالما كان الأمر كذلك فإن الحب الذي هو سبب تألفهما وجميع أبنائهما من بعدهما لا يمكن إلا أن يكون أجدر هذه القوى الطبيعية والتي هي في نفس الوقت آلهة مشخصة، بصفة الألوهية، فهو إله من أقدم الآلهة. والحق أن فكرته عن الإيروس Eros كأول الآلهة ظلت ذات فوائد غير محدودة في تاريخ الفلسفة حتى القرن التاسع عشر في نظريات الحب الكوني (الألوسي، ص224).

تحتاج هذه الأساطير، وهذه التصورات الميثولوجية للآلهة، إلى قراءات أنثروبولوجية، وما من شك أنها ستفسر الكثير من الظواهر المرتبطة بالحب وكيفية ممارسته، ليس فقط لدى المجتمع اليوناني القديم، بل لدى مختلف المجتمعات، لأن الفكر يحضر بكيفيات قد تكون مشوهة لدى حضارات وثقافات أخرى.

ومن المعروف أن هذه التصورات الميثولوجية ستراجع أمام ظهور الفكر الفلسفي ببلاد اليونان بداية القرن السادس قبل الميلاد، غير أن الانتقال سيحافظ على المكانة الجوهرية لمفهوم الحب، حيث سيحضر في الكوسمولوجيا الإغريقية كقوة موحدة بين الاستقصات الأربعة التي سيقول بها كل من: طاليس Thales، انكسمانس Anaximène، هيرقليطس Héraclites، وإكزينوفان Xénophane، كأصول للوجود، وهو الأمر الذي يكشف عن نفسه بوضوح في فلسفة إمبادوقليس Empedocles المبنوثة في قصيدته «حول الطبيعة»؛ فالحب لديه يتجسد كطاقة موحدة، تخلق نوعاً من الانسجام بين الماء، الهواء، النار والتراب، والكراهية، بناء على ذلك في طغيان أحد هذه العناصر وفقدان الانسجام. وبالنسبة لإمبادوقليس الحب هو السبب الكافي لكل اتحاد بين القوى الكونية.

هنا تنتقل إلينا دلالة جديدة من دلالات مفهوم الحب من حيث إنه علاقة ينبغي أن تنبني على مسافة أمان فاضلة، فهو ليس قهراً أو امتلاكاً أو استعباداً أو طغياناً، وهو الأمر الذي يكشف أيضاً عن نفسه لدى فيثاغورس Pythagore الذي حدد الفلسفة بكونها محبة الحكمة لا امتلاكاً لها، فالحب ليس امتلاكاً، وإنما هو سعي وسعي متجدد باستمرار، يحافظ على استقلالية الآخر بشكل يجعله موجوداً لا ينتفي مهما طال الزمان، ومتى حصل امتلاكه تم نفي وجوده وحلّت الكراهية، لذلك فإن الفرد الذي لا يتخذ من الحب نقطة بداية له لن يعرف أبداً ما هي الفلسفة (بوالراس، www.Mominoun.com).

ومن بين أبرز النصوص التي كُتبت حول الحب في الحضارة اليونانية نجد محاور «المأدبة» لأفلاطون Platon، موضوع بحثنا هذا.

4.4. Le Banquet المأدبة

هي محاور بين عدد من عليّة الأثينيين وصفوة الأرسقراطية العقلية فيهم. ومجملها أن فيدروس، وبوزانياس، وإيريكسماخوس الطبيب، وإريستوفان الشاعر الهزلي، وسقراط، كانوا مجتمعين على مأدبة دعاهم إليها الشاعر أجاثون بمناسبة فوزه في مسابقة مسرحية، وعندما يجتمعون على المأدبة يُثار بينهم النقاش حول الحب، فيأخذ كل واحد منهم في وضع تعريف للحب حسب مزاجه وعقليته وآرائه في الحياة، ثم يسكب عليه في الثناء ما يوحى به إليه تصوره إياه، على أثر ذلك يهب سقراط بدوره فيروي للحاضرين محادثة يقول إنها قد دارت في الماضي بينه، وبين امرأة من مدينة مانتيني تدعى ديوتيميا. وفي هذه القصة يجري أفلاطون على لسان سقراط آراءه الخاصة عن الحب التي يصور فيها أن الحب الدنيوي ليس سوى ظل الشوق النفسي إلى شبح الجمال الممثل في الظواهر لمساهمتها في ذاته، وأن هذا الظل الأرضي الموجود لدى الدهماء من الغرام بالماديات يتمثل لدى الفلاسفة في أمور أكثر رقة تظل تسمو بأصحابها الذين لديهم المقدرة على كبح جماع الحواس وتسمو بهم إلى منزلة الاتصال بمثال الجمال، كما نشير إلى ذلك حين نعرض الشوق عند هذا الحكيم.

ومما هو جدير بالذكر أن القسم الأخير من هذه المحاور يختص به الكيبياديس الذي يقدم إلى المأدبة، وينظم إلى المتحاورين، ويخصه كله للثناء على سقراط، وهذا القسم يعتبر أدق صورة حيّة أمانة لوصف ذلك الحكيم. وتجلت المأدبة بثلاثة محاور رئيسية:

أولاً- الحب كقوة كونية وميثولوجية (تحليل خطب فيدروس وبوزانياس وإيريكسيافوس):

ركزت هذه المحاور على مشاعر الشرف والوفاء واحترام ما تلتزم به من قول وفعل، إذ يخلق الحب المبني على أساس التقدير المتبادل، عددًا من الأفعال السامية، وبذلك فإن الحب النبيل، يؤدي إلى أعمال نبيلة، ويُني في الإنسان روح التضحية والإيثار.

أ- يخطب «فيدروس» ويصف الحب بأنه رب عظيم قادر، والحب موضع إعجاب الأرباب والناس لعدة أسباب، أهمها منشأه وأصله، فالحب من أقدم الآلهة، وأكبر الآلهة سنًا، وأنبلهم وأقواهم، وهو الموحد الرئيسي لكل الأشياء، ووهب الفضيلة والسعادة في الحياة بعد الموت، وليس له ولدان، ولم يقل أي شاعر من الشعراء بأن هناك ربًا يماثل الحب، ثم يشير إلى أن الفوضى سادت الكون، ثم خلقت الأرض، وتلاها الحب في الخليقة (أفلاطون، ص 131-132).

اتفق الحكماء على أن الحب من أقدم الأشياء ومنبع السعادة والمنافع والشرف للإنسان، والحب يوقظ في نفوس البشر عاطفة الخجل، وعاطفة التفاني، وهذه العواطف ليست مقتصرة فقط على الأفراد، بل تشمل الشعوب والجماعات، ويرى فيدروس إنه بدون هاتين العاطفتين لا يمكن لأحد القيام بالأعمال العظيمة والجميلة، ويضرب فيدروس مثلاً لذلك فيرى إن العاشق إذا اقترب إثمًا في حضرة من يحب، فإن ألمه من الخجل من محبوبه يكون أشد وأقصى مما لو كان أمام أهله وأقاربه وصحبه، وسواهم يشهدون مذلتة، وكذلك يسرد فيدروس في محاورته، كأن تتخيل دولة قوامها جيش من المحبين ومحبوبهم، فهل تتوقع منهم سوى الانتصار في معركة ما؟.

لا يمكن حدوث غير ذلك، حتى لو اجتمعت ضدهم البشرية جمعاء، فلن يترك أي محبوب محبوبه جريحًا، دون إسعافه، أو يجعله يتعرض للخطر، ولن يفر ويتركه وراءه، ولا ريب في أن ما بينهم من روابط الود يدعوهم إلى أداء ما يجب عليهم حق أداء، فلا يسود بينهم الخلاف والحسد والأحقاد، ويتبعدون عن الشهوات المؤدية إلى فساد أمورهم، وانحلال رابطتهم، وبذلك فإن الحب النبيل، يؤدي إلى أعمال نبيلة، لذا "فالحب هو انجذاب خلاق نحو الجمال والخير" (المنياوي، 2010، ص19).

الحب عند فيدروس منبع التضامن القوي، فلا يمكن للإنسان المحب أن يستسلم للعدو، لأن خجله من أصدقائه أشد عليه وأقصى من ضرب السيوف، لذا يفضل الفارس حينها أن يموت ألف مرة على أن يهرب تاركًا وراءه أحبابه يتجرعون كؤوس الموت، فالحب يوحى بالفضيلة حتى للشخصيات الوضيعة، لأنه ينفخ في الروح قوة المحبة للرجال والنساء، لهذا لا تثير طبيعة الحب عند فيدروس أي إشكال، فهو أقدم الآلهة وأفضلها، وهو أكبرهم سنًا، ومصدر المنافع لنا جميعًا، وهو يزرع الألفة والمحبة والوفاء بين المحبين، ويثير في الإنسان الإحساس بالشرف، ويُعني فيه روح التضحية والإيثار، فالحب رب عظيم قادر، وهو موضع أعجاب الأرباب والناس، والمحب يحرص على ألا يصدر منه فعل مشين في حضرة حبيبه (جمعه، 2017، ص110).

ويسوق فيدروس الأمثلة من التاريخ، ومن الأساطير، ليدلل على ما يقول فيروي عن تفاني الكيتس ابنة بيلياس، عندما قدمت حياتها وفاءً لزوجها، بينما لم يقدم على ذلك حتى لا أمه ولا أبوه، وظهرا وكأنهما غريبان ينتسبان إليه بالاسم فقط، وهناك عشرات الأشخاص الذين قاموا بالعمل عينه وأعطوا أروع الأمثلة في قداسة الحب، وكرمهم الآلهة بإرسالهم إلى الجزر المباركة، وأنقذوهم من العذاب الأليم، مما يدل على تقدير الأرباب للإخلاص والتضحية، وفي المقابل يروي فيدروس عن رجل قد تملكه الجبن والضعف عن فداء محبوبته، فما كان من الآلهة إلا أن قضوا عليه بأن يموت قتلاً بأيدي النساء (أفلاطون، ص133).

ويكمل فيدروس ساردًا قصة أخيل وكيف أسكنته الآلهة دار النعيم جزاء شجاعته وإخلاصه في صداقته، وقصة أخيل هي كالتالي: هيكتور قتل باتروكلس صديق أخيل، ولذا كان على أخيل الانتقام لموت صديقه، فيقتل هيكتور، لكن النبوءة قالت له: (إن حياتك معلقة بحياة هيكتور، إن مات هيكتور ستموت بعده)، ولكن أخيل اختار الانتقام لمقتل صديقه، ومجد اليونان ذلك الإخلاص وتلك الصداقة (جمعه، ص112)..

ب- ثم جاء دور بوزنياس فاستهل خطابه بالقول: إن الحب ليس نوعًا واحدًا، بل أنواع، ويرى بوزنياس أن هناك حبين لا حبًا واحدًا، فالطريق إلى الحب لها أهمية بالغة، ويشير إلى أن كل فعل من الأفعال هو مجرد بطبيعته عن صفتي الخير والشر، ويضرب

مثالاً: أن شرب الخمر ليس صفة فيها من الخير أو الشر بشيء، لكن الطريقة التي يشرب بها الإنسان هي التي تحدد طبيعته، وتصبغه بالخير أو الشر! (أفلاطون، ص 135).

فالمبدأ بالنسبة لـ«بوزنياس»: ما نحسن فعله، بقطع النظر عن طبيعته يُعد خيراً، وما نسيء فعله، بغض النظر عن طبيعته يُعد شراً. ويشرح في محاورته أن الحب لا يمكن أن يعتبر بذاته شريعاً أو غير شريف، ويفسر أنه: إن كانت طريق الحب شريفة فهو شريف، وإن كانت الطريق غير شريفة كان الحب كذلك. لكن تكمن المشكلة، هنا، في أن الحب نبيلاً في المقام الأول. ليس كل أنواع الحب نبيلة، أو تستحق التقدير، فهناك حب نابع من الآلهة، الحب والجمال «أفروديت السماوية» الذي يتسم بجمال العواطف، وآخر نابع من «أفروديت الأرضية» والذي يسعى بالحب الدنيء، فالحب السماوي لا يختار إلا الأشخاص الذين يتسمون بالفضيلة والذكاء، ويعقد مع الطرف الثاني معاهدة إخلاص بعد التأكيد من الأخلاق وطبيعة النوايا، وبما أن هناك إلهتين اثنتين، يجب أن يكون هناك حيان. أما الإلهة الأولى فهي الأكبر سناً وليس لها أم، وتسمى أفروديت السماوية، وهي ابنة يورانوس؛ وتسمى الإلهة الفتية اسماً عاماً وهي ابنة زيوس وليون، ويُدعى حبها عاماً بحق، في حين يُسمى الحب الآخر حباً سماوياً. إن كل الآلهة تثني عليهما، لكن ليس بدون تمييز لطبائعهما. ولهذا يفرق بوزنياس بين صفات الحبين الاثنين. وبعد فإن الأعمال تتنوع طبقاً لأسلوب أدائها. أعني، أن الأعمال عندما تُفعل خطأ فإنها تكون أعمالاً طالحة، وعندما تُنجز جيداً تكون أعمالاً صالحة. وفي نمط مماثل لا يكون كل نوع من أنواع المحبة ولا كل حب نبيلاً، بل ذلك الذي يُلهم الرجال كي يُحبوا نبيل فقط. إن الحب الذي يكون من ذرية أفروديت العامة هو مشاع بالضرورة، وبحرك النوع الأحمر من الرجال فيتخطى حيزهم حب النساء إلى حب الشباب، ويُغرمون بالجسد بدلاً من الروح، وهم يقومون بفعل الخير والشر بدون أي تمييز. لكن نسل أفروديت السماوية، لم يولد من الأنثى، بل كان الدور في ولادته للذكر فقط، ولهذا فإن الملهمين بهذا النوع من الحب يستديرون إلى الذكور ويتجهجون في الذي يكون الأكثر بسالة وذكاءً بالطبيعة. لكن حب الصبيان هذا يجب أن يُمنع بالقانون، لأن القانون هو الذي يُهذب ويصقل نزوات النفس البشرية ويقمع شهواتها. وهنا يفرق بوزنياس بين صنفين من الحب: حب نبيل، وحب دنيء. والحب الدنيء لا يهدف إلا إلى إشباع النزعات الجنسية بالنساء والغلمان، وهو حب واجب المنع حري بالتحريم، أما الحب النبيل فإنما يتجه إلى الشبان وهدفه إنماء صداقة باقية، وتعاون مُثمر (أفلاطون، ص 135-136).

ليست سائر أنواع الحب كلها جميلة، وإنما سيد أنواع الحب هو الذي يزيدنا شعوراً بالعزة. فالحب الملازم لزهرة بانديموس هو الحب الذي تعرفه العامة من الناس وتمارسه كالهائم لما فيه من الشهوات الدنيئة، يفضل الجهل على العلم، أما الحب الملازم لزهرة أورانوس فهو الحب الذي يوحي بالنقاء والإخلاص ويتبعد عن الفساد والشهوات، يعشق القوة والجمال وأصحاب العقول والناضجة، ويلتزمون بعهود المودة والإخاء والطهر والشرف والرُقي (جمعه، ص 113).

ويحلل بوزنياس، على ضوء هذه التفرقة، مواقف الشعوب المختلفة من الحب، ويفسر موقف الرأي العام الأثيني الذي لا يستقر على حال، فيرى أن القوانين في لافيداي مونييا (اسم اسبرطة قديماً) معقدة بشأن الحب، وتحتاج إلى توضيح، لكنها مفهومة وبسيطة ومرنة في مدن أخرى، أما العرف في البلدان التي يحكمها البربر (كل من لا يتحدث اليونانية) فإنه شائن ومغزٍ، بسبب حكوماتهم الاستبدادية. فهم لا يهتمون بالفلسفة والألعاب الرياضية، لأن منافع الحكام ومصالحهم تقتضي أن يكون رعاياهم

فقراء ولا يوجد رباط قوي بينهم، ويرجع ذلك إلى أن الأنظمة المستبدة تخشى من نمو روح التمرد على الظلم بين الأفراد، لذلك "أن الحب العلني أكثر شرفاً من الحب السري، وهو الأنبل والأسعى. وأقول إن الذي يحب الجسم أكثر من حبه للروح لا يمكن أن يحوز على الاستقرار، لأنه يحب الشيء غير المستقر والمزعزع. لكن الحب ذا النزعة النبيلة يستمر مدى الحياة، وهو الذي يصبح حباً واحداً ثابتاً ومنتبهاً. هناك عار في أن يكون الإنسان مقهوراً بحب المال أو حب القوة السياسية. وهاتان القوتان ليستا من طبيعة أزلية وباقية، ولم تنشأ منها أية صداقة سمحة. أما عرفنا في بلادنا فيقضي أن يقدم المحب إلى محبوبه خدمة تحت فكرة أنه يستحسن بها إثمًا في الحكمة، أو في أية نقطة رئيسية ما خاصة بالفضيلة، وعندئذ ينغمس المحبوب في حب حبيبه بشرف (جمعه، ص114، 115).

بوزنياس يتجنب الاتصال الجنسي، فهو يدافع عن حرية العلاقات الجنسية الشاذة، ويسوق الحجج لتأييدها، وإن كانت حججه تقوم على مغالطة مكشوفة؛ ومبدؤه أن الأفعال ليست قبيحة أو حسنة في ذاتها، ولكنها تصبح حسنة أو قبيحة وفقاً لظروفها ودورانها، وهذه مغالطة مكشوفة فضلاً عن أنها مجافية لأفكار أفلاطون السياسية.

ويقدم الطبيب أريكسيماخوس بدوره قراءة علمية عن الحب، إذ يصف الطب بالفن الذي يُعنى بمعرفة ورغبات الجسد وكيفية التعامل سواء بإرضائها أو قمعها وكبح جماحها، ويدعو أريكسيماخوس إلى الحب المعتدل المتولد عن التألف والصحة والوفرة، ويرى أن أفضل الأطباء هو من يقدر على أن يفصل بين الحب الجميل والحب الدنيء، وذلك بزرع بذور المحبة واستئصال الكراهية المدمرة، ويشرح ذلك فيقول إن طبيعة البدن تحتوي على نوعين: المريض والسليم من الأعضاء، والنوعين لا يستويا، فحب البدن السليم غير حب البدن المريض، ومن الشرف تمجيد الأجزاء الطبية السليمة في الجسم لأنها تدل على الانسجام.

ويعطي أريكسيماخوس أهمية للانسجام فيقول إن الطب والموسيقى والزراعة والرياضة البدنية وغيرها من مظاهر الحياة كلها تسير بانسجام الحب الطاهر، فكما الأصوات الحادة والثقيلة والأوزان السريعة والبطيئة تنتج الانسجام والنظام وفقاً لفن الموسيقى، وكذلك الشعر والتأليف والأغاني وترتيبها، وكما أن فصول السنة والحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة مؤلفة طبقاً لقاعدة الانسجام، فهي تجلب الصحة والنضج للبشر ولسائر أنواع الحيوان والنبات. وأما إذا ساد الحب الخبيث غير المنسجم فسيعم الخراب (أفلاطون، ص142).

وتأتي فكرة أريكسيماخوس وهي التفرقة بين نوعين من الحب، وهي فكرة استعارها من بوزنياس، فالحب النبيل الطاهر هو الحب الذي يولد التألف والصحة والوفرة، أما الحب الخبيث الدنيء فإنه يؤدي ويدمر. إن الحب الأول يختص بالخير، وبهنا الاعتدال والعدل، وهو أصل سعادتنا، ويمنحنا المشاركة والصداقة مع الآلهة ومع بعضنا البعض. ويجعل أريكسيماخوس من هذه التفرقة مبدأً عاماً لا ينطبق في ميدان النفس البشرية وحسب، ولكن ينطبق في ميادين مختلفة كالطب والموسيقى والفلك والعرافة.

ويرى «أريكسيماخوس» أن فني كطبيب يقول إن الحب المضاعف لا يكون شعور روح الإنسان نحو الجمال الإنساني فحسب، بل هو عاطفة موجهة إلى العديد من الأهداف الأخرى. وهذا الحب يوجد في الأشياء الأخرى: في أجسام الحيوانات، وفيما

تنتج الأرض، وفي كل ما هو كائن. لكن أفضل الأطباء هو مَنْ يقدر على أن يفصل الحب الجميل والمنصف عن الحب الكريه والقدّر، أو أن يحول الواحد إلى الآخر. ومَنْ يعرف كيف يستأصل الحب وكيف يزرعه، ويقدر على أن يوفق بين العناصر الأكثر عداءً في المجتمع ويجعل من أصحابها أصدقاء محبين، فإنه ممارس حاذق وبارع في مهنته. وبعدُ فإن العناصر الأكثر عداءً هي الأكثر تضاداً، وإن «أبانا أيسكولاببوس»، عارفاً كيف يغرس الصداقة والاتفاق في هذه العناصر، كان هو مبدع قننا. وليس فن الطب بكل فروعه تحت سلطته بل إن فنّ الألعاب الرياضية والزراعية كذلك (أفلاطون، ص 142-143).

وأما في علم الموسيقى فيوجد التوفيق عينه بين المتضادات. وما الإيقاع إلا تآلف الأصوات، ويكون تآلف الأصوات نوعاً من الاتفاق. والموسيقى تخلق الحب والوئام بيننا، وعلم الموسيقى يكون ظاهرة علم الحب أيضاً في تطبيقه العملي على الإيقاع والتناغم. أما نوع التأليف الذي يضم فيه اسم الاصطلاح «غنائي»، أو الألحان المؤلفة مسبقاً، فيحتاج للفنان البارع كي يذلل الصعوبة حينئذٍ... وجاء تحليله تعسفياً مبتسراً؛ فهو مستعد لإخضاع أي ظاهرة لمبدئه بطريقة تحكمية، إلا أنه أضاف بحديثه شيئاً جديداً إلى النظرية الأساسية بقوله: إن الحب مبدأ كوني يعمل في الكون كله، وهو بذلك يُخرج الحب من العالم الحسي الضيق إلى العالم العقلي الذي يصفه سقراط (الخولي، 2007).

ثانياً- الحب بوصفه بحثاً عن النصف الضائع والمدح البلاغي (تحليل خطبتي أرسطوفان وأجاثون):

كان الإغريق شعباً يطلق مخيلته في كل معنى من معاني الحياة بما في ذلك الفضيلة والعدل، وبالتحديد الحب، وقد عبر عن الحب بأنه منسوب للآله إيروس الذي يزرع هذا الشعور في قلوب الناس الذين ما هو في الميثولوجيا الإغريقية إلا أنصاف منفصلة بعد أن قام زيوس بقطعهم وفصلهم. فكان الحب سبيل الأنصاف كي تجد بعضها البعض، ومن ثم تتعانق، كتعبير عن الجنس الذي يؤدي إليه هذا الحب، وتكون النتيجة حمل الروح في المادة، وهذا هو المعنى القديم للفضيلة لدى الإغريق، وقد تطور هذا المفهوم مع حديث أرسطوفان الشاعر الهزلي. حيث يستهل حديثه بما يلي: "إن الجنس البشري، كما اعتقد، لم يفهم قوة هذا الحب على الإطلاق. فلو فهمه الناس لما كان من واجهم إلا أن يبنوا المعابد والهيكل تخليداً لذكراه، ويلزم أن يقدموا التضحيات تكريماً له، لأنه الصديق الأفضل للرجال من الآلهة كلها، وهو المساعد لهم وشافهم من الأمراض التي تعيق سعادة السلالة البشرية" (أفلاطون، ص 146).

ويُعطي أرسطوفان مثلاً على ذلك، بقصة خيالية فكاهية عن المخلوقات البشرية الأولى وتمرداها على الآلهة، فيقول: "إن طبيعة الإنسان الأصلية لم تكن مثل طبيعته الحاضرة، بل كانت طبيعة مختلفة. وكانت الأجناس ثلاثة في العدد، وليست اثنتين كما هي الآن. وُجد الرجل، المرأة، واتحادهما آنند. كان شكل الإنسان الأول مستديراً، وكذلك شكل ظهره وجانبه، وكان له أربعة أيدي والعدد عينه في الأقدام، ورأس واحد بوجهين، وكان ينظر في الاتجاهات المضادة؛ وأما أذناه فكانت أربعة في العدد، وكان له عضوان محجوبان. وبعدُ فإن الأجناس هذه كانت ثلاثة، لأن الشمس، القمر، والأرض كانت ثلاثة في العدد. كان الإنسان طفل الشمس في الأصل، المرأة طفلة الأرض، والرجل- المرأة طفل القمر (مخلوق ذكر، ومخلوق أنثى، ومخلوق خنثى) وكانوا كلهم ذوي شكل مستدير. اكتشف «زيوس» طريقة لفصلهم إلى اثنين وسواهما كما هما الآن رجلاً وامرأة، وأعطى الأمر لأبوللو كي يتمم الصنعة. وبدأ يتناسلان بعد أن أتممت أجهزتهما التناسلية. وهكذا تكون الرغبة في بعضنا بعضاً قديمة وقد غُرست فينا، ووحدت

طبائعتنا الأصلية مرة ثانية، بل إن هذه الطبائع عينا كانت في حالة شاذة. واعتقد أننا إذا ما أنجزنا حبنا بشكل تام، وعاد كل منا إلى طبيعته الأصلية وإلى حبه الحقيقي الأساسي، فإن سلالتنا ستكون سعيدة الحظ" (أفلاطون، ص 147-148).

ومنذ هذا التاريخ وُجد الحب بين الجنسين، ووُجد الشوق والعناق، وصار كل جنس يبحث عن نصفه الآخر، فكل واحد من البشر ناقص يبحث عن الكمال والاتحاد بالنصف الثاني الذي يكمله، وعندما يلتقي النصفان يرتبطان بالحب والاجتماع والرغبة والحاجة، ولا يريد أحدهما أن ينفصل عن الثاني، فغاية الحب امتلاك كل منا محبوبه فنعود لطبيعتنا القديمة. فالحب هو الرغبة في الاكتمال، فالإنسان يريد أن يستعيد سعادته بالاتحاد بنصفه الآخر (أفلاطون، ص 149).

وهنا يوصي «أريستوفان» النوع البشري بأن يتزوج كل نصف من نصفه الذي خُلق له ويخصه بالذات، حتى يتحدا سوياً ويعودا إلى الطبيعة الأولى، ويصلا للسعادة المطلقة، وأن محبة الآخر هنا ما هي إلا إشارة أيضاً لحب الشخص لذاته.

يقول أريستوفان عن نفسه: إنه مسلٍ لا أكثر ولا أقل، ولكن حديثه المرح ينطوي على معنى عميق، ويخفي حقيقة هامة، وهي أن الحب رغبة لا يكفي إشباعها إشباعاً حسيّاً، فعلى سقراط أن يبحث في طبيعة هذه الرغبة. والحب عند أريستوفان- أيضاً- شوق إلى استعادة السعادة المفقودة، وهذا من صفات أفلاطون في أسى صوره؛ فالحب الأفلاطوني الكامل هو معاينة الجمال المطلق الذي كانت تعانيه الروح قبل اتصالها بالجسد المادي.

وتُذكرنا أسطورة أريستوفان بخلق حواء من ضلع آدم (في سفر التكوين) (على الرغم من أن التوق إلى إعادة اتحاد المرء بضلعه ربما يكون أقل إقناعاً)، كما أنها تشبه أسطورة هندية عن أصل الجنسين، لكن النسخة الهندية تشدد أكثر على الحب بوصفه تخليصاً من الشعور بالوحدة، وهو ما يمكن أن يؤديه أي صاحب. كذلك، هنالك تشديد أقل على الحب بوصفه تسليماً بأن المحبوب هو عين الذات: «لم يكن في بداية هذا العالم إلا جسد وحيد على هيئة رجل. نظر حوله فلم يجد سوى نفسه. أضى ذلك الكائن الأول خائفاً، بالتالي يصبح المرء خائفاً حين يكون وحيداً. فنانى نفسه: (مّمّ عليّ أن أخاف ما دام لا يوجد أحدٌ غيري؟) فزال عنه هذا الخوف. أساساً، ممّ سيخاف؟ يخاف المرء، بأي حال، من الآخر. لم يجد متعة على الإطلاق. إذًا، لا يجد المرء متعة حين يكون وحيداً. أراد أن يكون له رفيق. كان حينها بحجم رجل وامرأة متعانقين عناقاً لطيفاً، فشطر جسمه إلى جسمين، ما أدى إلى زوج وزوجة» (سوزا، 2018م، ص 142).

تلتقط أسطورة أريستوفان سمتين من سمات تجربة الحب: التوقف الذي شعر به إلى «الاتحاد» بشخص بعينه، ونوعية النوع الاجتماعي للشخص الذي يكون هدفاً لذلك التوق. تسترعي الرغبة في الاتحاد الانتباه إلى شعور الإقرار الذي غالباً ما يستدعيه الوقوع في الحب، الإحساس بأن «الأمر كما لو أنني عرفت منذ الأزل»، أو حتى- كما قال أرسطو عن الصداقة بصورة عامة- إن الآخر هو ذات ثانية. إذا كان المحبوب، وسيكون مجدداً، مجرد جزء آخر من نفسي، فإن ذلك يفسّر كلاً من رغبتني في توحيد جسدينا مادياً، وإحساسي بأنه أيّاً يكن ما يريده الآخر، فسوف يكون ما أريده أنا أيضاً.

ومن نواحٍ أخرى، لا تتماشى حكاية أريستوفان على نحو منطقي مع حقائق التجربة. فهي لا تفسر لماذا لا يقع الجميع في الحب، ولماذا لا يتوق الجميع إلى الاتحاد إما بشخص لا على التعيين أو بشخص بعينه. وفي حين تقدم أسطورة الكائنات الأصلية

ذات الأطراف الثمانية طريقة أنيقة لتفسير التوجهات الجنسية المتباينة، فقد يتدمر المرء من كونها لا تفسّر لماذا يكون بعض الأشخاص ثنائي الجنس أو متعددي الشركاء.

وعلى الرغم من ذلك، فإن فانتازيا أريستوفان موحية. فهي تلتقط بشدة توقنا إلى الحديث عن اتحاد ذات شخص ما بذات شخص آخر. علاوة على ذلك، عندما نفكر بآلية الإخصاب الجنسي، تبدو فانتازيا اندماج كائنين كأنها تمثل حقيقة موضوعية. وعلى الرغم من أنها بالكاد حقيقة نستطيع ظاهريًا زعم وجود أي وعي فيها، فإن واقعية الاندماج المادي الذي ينتهج فردًا بشريًا جديدًا قد تشجع العشاق على أخذ استعارة دمج الذوات على محمل الجد. بطبيعة الحال، يكمن الفارق الكبير بين ضربى الاندماج في أن الوحدة الأصلية تُستردّ في الأسطورة حالما نحقق هدفنا (سوزا، ص 43).

ويبدو لنا الحب من خلال هذه النظرية الفلسفية بأنه استعادة الجزء المفقود من كل إنسان، بُغية الرجوع إلى الأصل وحالة الاكتمال الأولى، ليصبح الكائن كائنًا واحدًا، وهذا ما يفسر إحساس المحبة والصدقة والقرابة والقوى الذي ينشأ بشكل عارم حينما يلتقي الإنسان بنصفه الآخر، شعور عارم لا يتعلق بطبيعة الانجذاب الجنسي قصير المدى، بل التجلي برغبة الاستمرار، والمشاركة معًا، بسموّ وإخلاص، حتى يذوب الواحد في الآخر بعد الموت عند «هاديس» إله العالم السفلي.

5- أجاثون:

ويعقب حديث أريستوفان حديث أجاثون الشاعر البالغ المعجب بنفسه أشد الإعجاب، وحديثه قطعة بلاغية صيغت وفق الأصول البلاغية التي وصفها أساتذة البيان اليوناني، ونعني بهم السفسطائيين، فالحب عنده لا يلامس أصحاب القلوب الجافة والجامدة والخشنة فإنه يهرب من هؤلاء، والحب يعادي كل ما هو مشوه لأنه يقضي حياته بين الزهور، والحب لا يسبب الأذى ولا يفعل شيئًا فيه قسوة، وكما أنه عادل غايته الاعتدال، قادر على الترفع عن الملذات والشهوات، والحب موجد الفرح، ويصنع الشعراء، لأن كل إنسان مهما كانت حاله قبل الحب فإنه بعد الحب يصبح شاعرًا. فالحب واضح كل الفنون، والآلهة تعلمت مهنتها من «حب الجميل»، لأنه لا يوجد حب ورغبة نحو الأشياء المشوهة.

ويجادل أجاثون بأن الحب أسعد الأرباب وأفخرها وأجملها، وهو الأجمل لأنه مرتبط بالشباب، وأسرعها زوالاً حيث ينفر الحب من كل عتيق، فالمثل يقول (شبيه الشيء ينجذب إليه)، وهو ينطبق على ارتباط الحب بالشباب والصبا، لا بل إن الحب صباه أبدي. والحب كما يصفه أجاثون: لين رقيق لطيف لا يسير على الأرض بل يمشي على رؤوس الرجال ويسكن ثنايا الأحشاء، وهو أقدم الآلهة كلها، لأنه هو الأجمل والأفضل، والألطف، وهو يسكن في قلوب الآلهة والرجال على حد سواء ولا يؤذي أبدًا، وهو عادل ومعتدل إلى أقصى حد، والعدل هو الحاكم المعترف به للملذات والرغبات، والأشجع من كل الآلهة، والخالق لكل المخلوقات، ومنذ أن وُلد الحب انبجس كل خير في السماء وعلى الأرض، وهو الذي يهدئ غضب الرجال ويملأهم بالشعور والعاطفة. إنه كيّس، وخير، مدهش الحكماء، مصدر الرقة، الترف، التمني، الولع، النعومة، الرشاقة. يحترم الخير، ويهمل الشر، وينقذ من الخوف، دليل، رقيق، محارب، القائد الأفضل والأكثر فتنة وجمالاً (سوزا، ص 159).

كانت مداخلة الشاعر أجاثون باذخة الجمالية والشاعرية، فقد صَوّر الحب كإله فتي وبأنه الإله الأكثر قداسة وجمالاً، وهنا يختلف مع رأي فيدروس، الذي اعتبر إيروس من أقدم الآلهة وأكبرهم سناً، يؤكد أجاثون على أن الحب ممتلئ شباباً، وملهم الشعراء، بل هو شاعر في ذاته، والحب خيرٌ وجميل، ومصدر للرقّة والترّف والنعمّة والرشاقة (سوزا، ص159).

غير أن سقراط الحكيم المندّهِش والمعجب بجمالية وشاعرية مديح أجاثون، لن يستسلم لعذوبة وجمالية هذه الخطبة، بل قام سقراط كعادته باستدعاء إيروس من فضاء الشعر، ليثبت جذوره في تربة العقل والمنطق، ويجرّد سقراط إيروس من صفة الألوهية والقداسة، ليجعل منه كائنًا وسطًا يتراوح وجوده بين الإلهي والإنساني، فالحب حسب سقراط لا هو بالجميل ولا بالخير لأنه مفتقر للجمال والخير، ولكن لا يمكن أن يكون شرير، فهو منزلة بين العلم والجهل (أفلاطون، 2019، ص14).

ويصف سقراط الحب بأنه فقير على الدوام وبعيد عن الرقة والجمال، عكس ما يتخيله أجاثون والبشر، بل الحب قذر وممزق الثياب، وبطيء من على الأرض، ولا مأوى له ولا حذاء ينتعله، وينام بلا غطاء أمام الأبواب وفي الطريق، وهذه صفات أمه. وأما نصيبه من صفات أبيه أن الحب يفكر على الدوام في الحصول على الأشياء الجميلة الصالحة، ولا يخاف، وهو شديد قوي في الصيد ويدبر الحيلة باستمرار، وهو في غاية الحذر والاحتباس، وهو حكيم وساهر، وطبيعته ليست فانية، وليست خالدة، فهو في اليوم الذي يفوز فيه يزهر ويزهو، ثم يموت، ويعود إلى الوجود، فالحب ليس غنيًا ولا فقيرًا، وهو في معناه العام الرغبة الصادقة في امتلاك السعادة والخير والجميل، والأبدية وعدم الفناء؛ لذلك فالحب هو رغبة للتناسل في الشيء الجميل، لأن الطبيعة لا يمكنها تلقيح المشوه، ولكن تستطيع التلقيح في الجميل.

ولقد أراد أفلاطون الفنان المبدع أن يقابل حديث «أجاثون» بحديثي أريستوفان وسقراط، فحديث أريستوفان الشاعر الساخر يقدمه صاحبه في لغة بسيطة خالٍ من زخرف اللفظ ووشي البيان، إلا أنه ينبض بالعاطفة الصادقة والشعور القوي. ولكن حديث أجاثون الشاعر التراجيدي جاء سطحيًا ضحلًا، بالرغم من صفته البلاغية وإلقائه الشعاري، فضلًا عن اشتماله على كثير من المغالطات. فجعلت منه شخصية روائية دفعت سقراط إلى تفنيدها. يبدأ التفنيد بمثال لاذع جدًا على السخرية التي اشتهر بها سقراط، فيُعلن إعجابه ببناء أجاثون الحاذق على الحب، ويعترف بعجزه عن مجاراته. يوضح أنه قد أساء فهم قواعد اللعبة، فيقول: (أرى الآن أن القصد كان نسبة كل أنواع العظمة والمجد إلى الحب، سواء أكانت تنتهي إليه حقًا أم لا، في دون اعتبار للحق والباطل)، وقول أمور من دون اعتبار للحق والباطل، قد أقرّ بوصفه التعريف الدقيق لكلمة (هراء).

واقع الأمر أن سقراط في امتداحه أجاثون بوصفه متألقًا تألقًا لا يضاهي يخبره بأن حديثه هراء. وحديث أجاثون قصد به أيضًا التقابل بين البلاغة والفلسفة، فالبلاغة تستميل الإنسان عن طريق الأذن، وتجعل الموضوع أساسًا تقيم عليه بناءً مصطنعًا من الألفاظ والموسيقى، بينما تعمل الفلسفة على الوصول إلى الحقيقة، من غير احتفال بلفظ أو موسيقى، وأجاثون في حديثه يخلع على الحب أجمل الصفات ويخصه بالفضائل، وينهي حديثه بخيارات أخاذة تهر أنفاس سقراط. وبالرغم من تفاهة حديثه فقد أذن له أفلاطون أن يضيف حقيقة جديدة وهي أن غاية الحب هي الجمال. وفيما عدا هذا فحديثه سلبى، وما دام غاية الحب الجمال فلا يمكن أن يكون الحب نبيلًا ولا خيرًا، لأن الجمال هو الخير، والشيء المتفق عليه أن الحب هو الشعور بالرغبة في شيء لم يكتسبه بعد، وقد ورد شيء من هذا القبيل في كلام أريستوفان.

1- خطبة سقراط (ديوتيميا):

أخيراً يأتي دور محاوره سقراط، إلا أن مجادلته حول الحب تحمل في طياتها أبعاداً فلسفية ونفسية عميقة، فهو يستهل خطابه بالسؤال: هل الحب هو حب شيء أو حب لا شيء؟ وهل الحب يشتهي الشيء الذي هو موضعه؟ وهل من كان يملك الشخص الذي يشتهي يبقى حبه؟.

ينطلق سقراط في محاورته لتأكيد الملاحظة التالية: «لاحظوا أن الرغبة تشتهي ما تطلب ولا تملك، والرغبة لا تشتهي إلا ما تطلب». ويضرب سقراط أمثلة: هل يريد من صار شهيراً أن يصير شهيراً مجدداً؟ وهل يشتهي القوي أن يكون قوياً؟ فهل يمكن أن تكون الرغبة في أشياء يمتلكها الإنسان أم في أشياء لا يمتلكها؟

فلو أن شخصاً غنياً يقول: (أريد أن أكون غنياً)، ستقول له: إنك غني. لا معنى لطلب ما هو لك، وإنما يمكنك أن تطلب استمرار حالة الغنى التي تعيش فيها. وينتج من هذا- حسب سقراط- أن الإنسان عندما يشتهي شيئاً يملكه فإنما يريد بذلك دوام الامتلاك. لذا فالحب هو السعي للحصول على ما ليس في وسعنا الحصول عليه، وما لا يمكن ضمان بقائه إلى المستقبل حتى لو حصلنا عليه في الحاضر، فالحب يشتهي ما هو غائب وبعيد عنه، أي الشيء الذي ليس له، ولا يخفى أن الشيء الذي يشتهي شيئاً آخر لا بد أن يكون هذا الشيء مغايراً له. فالحب يحب ما يشتهي ولكن لا يملكه، لذلك يصف سقراط الحب بأنه شيطان لأنه يقع في منزلة وسطى بين ما هو رباني وما هو إنساني، وهو صلة الوصل بين الإنسان والأرباب.

ويباشر سقراط، بعد الانتهاء من هذا الأمر، محاجة تحليلية ذكية تهدف إلى إظهار أن الحب لا يمكن أن يكون جميلاً أو شبيهاً بما هو إلهي. يُشكّل هذا الأمر تحدياً للتقليد اليوناني بطبيعة الحال، لأنه بمعزل عن كون آلهة اليونان قد اشتهرت بمغامراتها الغرامية، فهناك شخصيتان إلهيتان تجسدان الحب- الإلهة أفروديت، والإله- الصبي المشاكس إيروس. ويطور سقراط رفضه الحب بوصفه إلهياً في مذهب مفصل. وللحفاظ على موقفه بعدم تبني مذهب خاص به، يزعم أن من أطلعه على ذلك كاهنة اسمها ديوتيميا (Diotima). وغالباً ما تؤخذ وجهة النظر هذه على أنها وجهة نظر أفلاطون الفعلية. لكن بما أن أفلاطون حريص على إسناد الحكاية إلى شخص يروي أن سقراط أخذها عن ديوتيميا، فسأشير إليها بوصفها مذهب ديوتيميا.

ويروي سقراط قصة عن الحب سمعها من ديوتيميا، من مانتيني. إنها امرأة حكيمة في هذا الحقل وفي أنواع متعددة أخرى من أنواع المعرفة. وهي التي أعافت المرض عشر سنين في الأيام القديمة عندما قدّم الأثينيون تضحية قبل أن يحل بهم مرض الطاعون. إن ديوتيميا كانت معلمتي- كما يقول سقراط في فن الحب- قلت لها أولاً بالكلمات عينها التي استخدمها أجاثون، قلت لها بأن الحب كان إلهاً جباراً، وأنه إله جميل بشكل مائل، وهي برهنت لي أن الحب لم يكن جميلاً ولا خيراً، بل وسطاً بين ذلك. وقالت لي إن الحب هو نفس عظيمة وهو توسط بين الإلهي والفاني، هو يربط العالم كله معاً، ومن خلاله نجد فنون النبي والكاهن تضحياتهم وأسرارهم المحفوظة بالغموض (أفلاطون، 1994م، ص 163).

يروى سقراط أن ديوتيميا قالت: "إن الحب ليس بجميل وليس بخير، ولكن لا يلزم من هذا أنه قبيح وشرير فهو بين بين، مثل الرجل الذي تكون له آراء صادقة، ولكنه لا يستطيع أن يثبت صدقها بالدليل القاطع، فهو في منزلة بين العلم والجهل. وهذا

تشبيه مهم جدًا في فهم المحاورة لأنه يفترض نظرية المثل "(أفلاطون، ص 164). ومجمل النظرية أن ظواهر العالم الحسي المتعددة المتغيرة هي ظلال لمثل مطلقة خالدة، والمثل هي وحدها الوجود الحقيقي، والعالم يستمد حقيقته الجزئية من المشاركة في هذه المثل الخالدة، ولقد وضع سقراط (التاريخي) أساس هذه النظرية ببحثه عن الماهيات الكلية للتصورات الأخلاقية؛ ولكن النظرية الكاملة التي وضعها أفلاطون تتجاوز ما لم يكن يخطر لسقراط على بال، فكل صنف من الأشياء سواء كان ماديًا أو مجردًا يندمج تحت اسم مشترك، له مثال في العالم الأزلي الخالد، وواجب الفيلسوف أن يتجاوز ظلال العالم الحسي الذي يتذكر به المثل التي كانت النفس تشاهدها قبل اتصالها بالبدن، يتجاوزه إلى تأمل المثل في ذاتها. وتنظم المثل في نظام هرمي يترفع على قمته مثال الخير، والرجل الذي يستطيع أن يرقى إلى معانية مثال الخير، ويشاهد الحقيقة باعتبارها نظامًا مترابطًا، مثل هذا الرجل يُقال له: حكيم. ويتم هذا بالترقي الذي يتطلب مرانًا عقليًا شاقًا يصف أفلاطون مراحلها في كتاب (الجمهورية)، ويصفه أيضًا في (المأدبة) على لسان ديوتيميا الحكيمة، وفيلسوف (الجمهورية) هو بعينه المحب المثالي في المأدبة الذي يتجه عن طريق نماذج الجمال في عالم الحس إلى الجمال المطلق، والجمال المطلق هو الخير المطلق، والوصول إلى هذه الغاية تجربة صوفية من الطراز الأول يصعب وصفها والتعبير عنها، وإن كان أفلاطون يوشك أن يصفها في خاتمة حديث ديوتيميا (أفلاطون، ص 166).

الحب- كما تقول ديوتيميا- هو جسر يصل العالم الحسي بالعالم العقلي، وهو ذو طبيعة وسط، بين الآلهة والبشر. وجاءت هذه الطبيعة المشتركة من مولده، فأمه (الفقر)، فهو لذلك يحيا دائمًا في عوز وحاجة، ولكنه ورث عن أبيه (الغني) الجرأة والقدرة على البحث عن محبوبه. وهو محب للحكمة لأن الحكمة جميلة، ويعشق كل جميل. وإذا كان الحب ينسحب على كل رغبة في الخير والسعادة، يمكن أن نسمي الناس جميعًا محبين، فالناس محبون للخير بحسب المعنى الواسع (أفلاطون، 2019)، ولكنها تلاحظ أن الاستعمال المألوف يقصر الحب (الإيروس) على الحب الجنسي، وهو ما كان موضوع حديث من سبقوا سقراط، وثمة طريق واحد في إمكان هذا الحب أن يحقق به شيئًا من الخلود هو طريق التناسل، فعن طريق إحلال فرد جديد محل فرد آخر تخلع المخلوقات الفانية على نفسها صفة الخلود.

والولادة الجسدية أدنى مراتب الحب وأهونها شأنًا، وأرقى مراتبه هي الولادة بالروح، ومن ثمارها الآثار الفنية ومظاهر التقدم الحضاري والاجتماعي، فهذه جميعها تأتي نتيجة ارتباط عقليين راقيين يرغب الواحد في الآخر لجماله، خاصةً جماله الروحي، وهكذا نصل إلى الحب النبيل، حب الذكر للذكر، فهذا الحب وإن كان عقيمًا من الناحية الجنسية إلا أنه خصب، غاية الخصوبة، من الناحية الروحية. وهذا ما يريده أفلاطون من الحب الشاذ الذي يقتصر على الرجال لأنه يرى أن المرأة عاجزة عن النشاط الإبداعي.

تقول ديوتيميا: "إن أولئك الحبالى في أجسامهم فقط، يذهبون إلى الرجال بأنفسهم وينجبون الأطفال- هذه هي ميزة جهيم، ويأملون في أن تحفظ ذريتهم تذكارتهم، وتعطيهم البركة والنعمة والخلود الذي يرغبون لكل الزمن المستقبلي. لكن الأرواح الخبلى- لأن هناك رجالًا أكثرهم إبداعًا في أرواحهم- فما هم في أجسامهم بكل تأكيد، وهم إبداعيون في ذلك الذي يكون مناسبًا للروح كي تحمل وتلد. وإذا سألتني يا سقراط: ما هي هذه المفاهيم؟ فإنني أجيبك: بأنها الحكمة والفضيلة بشكل عام. لكن النوع الأعظم والأجمل للحكمة ببعيد كبير هو ذلك النوع الذي يختص بتنظيم الدول والعائلات، والذي يدعى الاعتدال والعدل. ومن تُزرع

في روحه هذه البذور منذ الصغر، يرغب في أن ينجب ويتوالد بها عندما يكبر ويصل إلى سن النضج. وهو يحتضن الجسد الجميل بدلاً من المشوّه بطبيعة الحال، وفوق كل الجميع، فإنه عندما يجد روحاً جميلة، ونبيلة وحسنة التربية يحتضن الاثنين في شخص واحد" (أفلاطون، ص 173).

تعتقد ديوتيميا أن الحب محبٌ للحكمة، وكونه محباً للحكمة فإنه وسط بين العاقل والجاهل، وهذه هي طبيعته، لذلك فكل رغبة بالخير والسعادة هي القوة العظيمة للحب، وتصف ديوتيميا الحب بأنه الاقتناء الأبدي السرمدي للخير، وتتساءل عن الذين يُبدون كل هذا الشغف الذي يُدعى الحب، وما هو الهدف الذي يمتلكونه في فكرتهم وتفكيرهم؟ فتجيب: إن الهدف المائل في فكرتهم هو الولادة في الجمال، سواء أكان هذا الجمال في الروح أم في الجسد، فالرجال كلهم مُحضرون إلى الولادة في أجسامهم وفي أرواحهم، والولادة تكون في الجمال وليس في القبح، والنشوء بالنسبة إلى المخلوق الفاني هو نوع من الخلود والبقاء، وهذا ما تنشده الطبيعة الفانية، لأن النشوء يترك خلفه وجوداً جديداً أو مختلفاً في المكان القديم على الدوام. وبهذا تكون عملية التجدد في الروح وفي الجسد مستمرة بشكل دائم.

وتنتقل ديوتيميا إلى أسرار الحب التي ستقود إلى أسرار أعظم وأكثر خفية، فتقول: "إن من سيتقدم في طلب صحة الجمال الجسدي في سن فتوته على نحو صحيح، يلزمه أن يخلق أفكاراً جمالية خارجة عن ذلك. ولسوف يدرك بنفسه قريباً أن جمال جسم ما يماثل جمال جسم آخر. وعندما يعرف ذلك فسيضع حداً لحيته العنيف للجسد الواحد، وسيأمل ملياً في المرحلة التالية، وهو أن الجمال الروحي يكون أكثر نفاسة من جمال الشكل الخارجي، وسيبحث بدقة ويحضر إلى الولادة الأفكار التي يمكن أن تحسّن الشباب، حتى يُجبر تالياً على أن يتأمل ويرى الجمال في العادات والنظم الاجتماعية وفي القوانين، وليفهم أنّ جمالها كلها هو جمال من عائلة واحدة، وأنّ الجمال الشخصي ما هو إلا شيء طفيف. وسيقوده هاديه، بعد تأمل العادات والنظم الاجتماعية، إلى تأمل العلوم كي يتمكن من مشاهدة المنطقة الفسيحة التي يشغلها الجمال من قبل، وسيتجه بعدئذ نحو البحر الواسع من الجمال ويستغرق في حبٍ غير محدود للحكمة، إلى أن يترعرع على ذلك الشاطئ ويصبح قوياً. وأخيراً فإن الرؤيا تكشف له عن علم فردٍ واحدٍ فقط، هو علم الجمال في كل مكان" (أفلاطون، ص 174).

وترى ديوتيميا إن من قد تدرب في أنباء الحب، وتعلم ليرى الجمال في نظام مناسب بالتسلسل، سيدرك طبيعة الجمال الخلّاب عندما يصل إلى النهاية. إنها طبيعة أبدية في المقام الأول، لا تعرف الولادة أو الموت، النمو أو الفساد؛ ثانياً، إنها ليست جميلة في وجهة نظر واحدة، وبشعة في أخرى، أو أنها تشبه أي شيء، وإنما هي الجمال المحض، المنفصل، البسيط، والأزلي الذي يضيء على الجمالات الناشئة والفانية كلّ الأشياء الجميلة الأخرى، بدون أن يقاسي هو نفسه نقصاً، أو زيادة، أو تغييراً. إن الذي يصعد من هذه الأشياء الأرضية تحت تأثير الحب الحقيقي، يجب أن يبدأ من الجمالات الأرضية ويرتفع إلى أعلى لأجل الجمال الآخر، مستخدماً هذه كدرجات فقط، ويرتقي من واحدتها إلى الثانية، ومن الثانية إلى كل الأشكال الجسدية الجميلة. ومن الأشكال الجسدية الجميلة يرتقي إلى الممارسات الجميلة، ومن الممارسات الجميلة إلى العلوم الجميلة، إلى أن يصل إلى العلم الذي تكلمت عنه من قبل، ذلك العلم الذي لا يكون له هدف أو غاية أخرى غير من الجمال المحض، ويعرف أخيراً ذلك الذي يكون جميلاً بذاته فقط (أفلاطون، ص 175).

وتختتم ديوتيميا وتقول: «هذه هي الحياة التي يجب أن يحياها الإنسان، فوق كل الحيوانات، حياة في تأمل الجمال المطلق. إنه الجمال الذي إذا ما شاهدته لمرة، فلن تُرى بعدها في أثر مقياس الذهب والأثواب وجمال الأولاد والشباب الذين يسلب لهم حضورك الآن؛ وستكون أنت (سقراط) وسيكون العديدون قانعين ليعيشوا وهم يشاهدونهم فقط ويحادثونهم بدون طعام أو شراب، إذا كان ذلك ممكنًا. لكن ماذا إذا كان لدى الإنسان عيون لترى الجمال الحقيقي فسيرى الجمال الإلهي؛ أعني، الجمال النقي والصافي وغير المزيف، الجمال اللا مدنس بالتلوث الجسدي وبكل ألوان وتفاهات الحياة الفانية، ناظرًا إلى هناك، ومجرّبًا محادثة مع الجمال الحقيقي البسيط الإلهي (أفلاطون، ص 176).

ويعقب هذا وصف حياة مُحب الحكمة الذي قام بحجه الروحي وقد حرر نفسه من قيود الحس، وأصبح يحيا في عالم الحقيقة لا في العالم الفاني، ويمكن أن نقول إن المحب الصادق للحكمة يميل بطبعه إلى السعي وراء الحق، ولا يطيق المكوث في عالم الكثرة الجزئية. وهو يغذي السير برغبة قوية ولا يني جاهدًا حتى يصل إلى الحقيقة بهذا الجانب من النفس الذي يدرك الحقيقة لأنه من جنسها، وعندئذٍ فقط، يصل إلى الحقيقة ويتحد بها، يتمتع بالمعرفة الكاملة، ويتخلص من آلام الوضع، وهنا يستعمل أفلاطون لغة الحب العادية، ويتحدث عن العمل الذي يتوّج سعي الفيلسوف بأنه زواج يتم بينه وبين الحق الأعلى، والخير الأعلى.

يقول سقراط: هذه كانت كلمات ديوتيميا، يا فايديروس، وأنا أخطبك، وأخاطب الحاضرين هنا كذلك، وإني لمقتنع بصدقها وصحتها، وأحاول أن أقنع الآخرين، وهو أنّ في بلوغ هذه الغاية الطبيعية الإنسانية لن نجد بسهولة مساعدًا أفضل من الحب (أفلاطون، ص 177).

إن جوهر الحب في محاورة المأدبة يرتكز على فكرة الولادة، فالحب ولادة في الجمال، وكل البشر مؤهلون لفعل الولادة، سواء كانت ولادة جسدية أو فكرية، بهذا المعنى فإن استدعاء ديوتيميا الحكمة وجعلها حاملة لباب فلسفة أفلاطون في الحب، لم يكن اعتباطيًا، فالمرأة هي أعلم البشر بفعل الولادة. لقد ارتأى سقراط أن يعهد بمداخلته في الحب لديوتيميا، فهي أعلم الناس بفن الحب بما هو فعل ولادة وخلق، ومما لا شك فيه أن سقراط نفسه اعتمد في محاوراته على منهج التوليد للوصول إلى الحقيقة والمعرفة وهو من أكد أنه يقوم بتوليد الأفكار كما كانت أمه القابلة تولّد النساء.

إلى جانب ذلك، يمكن القول أن توظيف أفلاطون لشخصية ديوتيميا كان بهدف إبراز الحضور المركزي للآخر في تجربة الحب، فديوتيميا ترمز للآخر المختلف عن ذاتنا والذي لا يمكن الولوج إلى عالم الحب من دونه. وقد مثّلت شخصية المرأة في هذه المحاورة تجليًا لهذا الآخر الغريب في جلسة عشاء كانت جكرًا على الرجال، ولعل هذا الحضور الافتراضي لشخصية الحكمة ديوتيميا ينطوي على رغبة أفلاطون في عرض تصور جديد عن الحب، تصور ينزع إلى تفعيل دور المرأة من خلال رمزية الولادة في الجمال، كما أن المرأة هنا ترمز للمختلف والعصي على الإمساك، ولما كان إيروس ينشأ عن إحساس بالنقص واشتهاء لما تملك، فإن هذا الحضور المحتجب للحكمة ديوتيميا، كان خير تمثيل لهذا الإيروس الذي يتغذى على النقص والغياب.

لقد كان صوت ديوتيميا في محاورة المأدبة مُعبّرًا عن لب فلسفة أفلاطون في الحب، فالحب- كما أشرنا سابقًا- لا هو بالإلهي ولا بالإنساني، بل هو وسيط يعبر الإنسان من خلاله إلى الجمال في ذاته، والخير في ذاته، إن الإيروس الأفلاطوني هو محرك

الجدل الصاعد وهو الوسيط الأنطولوجي والمعرفي الذي يساهم في عملية الارتقاء من عالم المحسوسات إلى عالم المعقولات أو عالم المثل.

ليست فانتازيا ديوتيميا نهاية المحاور، على الرغم من أنها غالباً ما تُعد ذروتها. الخطاب الأخير هو لألكيبادس (Alcibiades) الثمل، الفتى المميز الشهير والسيئ في أئينا والذي يتحدث عن محاولته الفاشلة لإغواء سقراط. تقلب هذه الحكاية التوقع «السوي» بأن الرجل الأكبر سنًا يغوي الأصغر سنًا، لكنها تتناغم مع التشديد على الجمال المعنوي والفكري الذي يحثّ المحب على تسليق مرقاة ديوتيميا. فما يأسر ألكيبادس هو الجمال الداخلي لدى سقراط، وليس بنيته الجسدية (إذ كان سقراط بشعاً على نحو ملحوظ). غير أن حقيقة أن شاباً قد يكون مأخوذاً بشدة بذلك الشخص تحديداً، أي سقراط، يقوّض ادعاء ديوتيميا بأن الجمال وحده بذاته جدير بالحب. وهو يعيد المركزية الخفية للفرد البشري المحسوس بوصفه الموضوع الحقيقي للحب. لأن ألكيبادس يرغب في سقراط، الفرد الحي، وليس في خصلة مجرّدة يجسدها، مهما كانت مثيرة للإعجاب.

7. مقارنة:

يتمحور الاختلاف الجوهرى بين الخطابات السابقة على سقراط وخطاب سقراط في المأدبة حول الانتقال في الفهم السطحي النفسي، والمادي للحب إلى الفهم الأنطولوجي، المعرفي، والميتافيزيقي.

إليك تفكيكاً أكاديمياً لأبرز أوجه الاختلاف والتحول المنهجي الذي أحدثه سقراط:

1- الاختلاف في المنهج (الخطابة البلاغية ضد الجدل الفلسفي)

-الخطب السابقة: اعتمدت على أسلوب اللفظة والبلاغة والمدح والإنشاء والشعر (مثل خطبة أجاثون وفيدروس) كانت تهدف إلى إبراز مهارة المتحدث اللغوية والتأثير العاطفي دون فحص حقيقة المفهوم.

-خطاب سقراط: استهل المنهج الجدلي (التهكم والتوليد)، بدأ بتفكيك ونقد الخطب السابقة عبر طرح الأسئلة، ثم اعتمد على سرد معرفي وعقلاني صادم (عبر مواده مع ديوتيميا) للوصول إلى ماهية الحب وجوهره.

2- طبيعة الحب (إله كامل ضد وسيط "ديمون")

-الطبيعة السابقة: نظرت إلى "إيروس" باعتباره إلهاً كاملاً (بل وأقدم الإله عند فايدروس، أو أجملها وأصغرها عند أبعتون). وبالتالي فهو يمتلك كل صفات الخير والجمال والكمال.

-خطاب سقراط: أثبت فلسفياً أن الحب ليس إلهاً وليس كاملاً؛ لأن الحب هو دافع ورغبة في امتلاك الشيء "نفتقده"، وبما أن الحب يسعى للجمال والخير، فهو بالضرورة يفتقر إليهما، لذلك، عرفه سقراط بأنه "دايمون" (كائن وسيط) يقع في المنزل الوسطى بين الفناء والخلود، وبين الجهل والحكمة.

3- غاية الحب (المنفعة الإنسانية د الارتقاء بالمثل)

- الخطب السابقة: حصرت غاية الحب في أغراض دنيوية أو طبيعية أو نفسية؛ كالشجاعة في الحروب (فيدروكا)، أو تنظيم قوانين المدنية (باوساتياس) أو الشفاء النفسي والحث عن التبرك (أرسطو فنس)، أو التوازن الحيوي (إريكسيما قوس).

- خطاب سقراط: ينقل غاية الحب إلى بُعد ميتافيزيقي خالص، الحب عند سقراط هو طاقة خلاقة ودافع للخلود عبر التوالد في الجمال، غايته النهائية ليست إشباع رغبة بشرية، بل التحرر في العالم الحسي والصعود بروح الإنسان لماهيته "مثال الجمال المطلق" الثابت والأزلي.

4- مركزية الذات (موضوع الحب ضد حركة الحب):

- الخطب السابقة: ركزت على موضوع الحب (المحبيب أو إله الحب نفسه) وصفاته الخارجية كالشكل والثبات والجاذبية.

- خطاب سقراط: ركز على ديناميكية وحركة الحب داخل النفس البشرية فالحب عنده ليس صفة في شيء، بل هو "السلم المعرفي" الذي يتحرك فيه وعي الإنسان ويتطور، في حب الأجساد الفانية إلى عشق الأفكار والمؤسسات، ثم المعرفة المحددة.

5- الخطباء الخمسة ركزوا على مدح إيروس ووصف محاسنه ومنافعه، أما سقراط فقد بدأ بالبحث عن ماهية الحب وحقيقته، موضحاً أن الحب رغبة، والإنسان لا يرغب إلا في ما يفتقده؛ وبما أن الحب يرغب في الجمال والخير، إذن الحب نفسه يفتقر إلى الجمال والخير وليس إلهاً كاملاً.

6- في حين توقف الخطباء الآخرون عند حدود الحب الجسدي، أو العاطفي أو الاجتماعي، قدم سقراط مفهوم "سلم الحب" حيث يبدأ الحب من الإعجاب بجسد واحد جميل، ثم ينتقل إلى حب كل الأجساد الجميلة، ثم حب جمال النفوس والقوانين، والعلوم، وصولاً إلى قمة السلم وفي تأمل "الجمال في ذاته" (المثال الأفلاطوني)

الخاتمة

1- تعتبر «المأدبة» من أبرز النصوص التي كتبت حول الحب في الثقافة اليونانية، وهي محاولة تحاول تحديد جوهر الحب، يظهر فيها نوع من السمو بالانتقال من الحب المادي المبتذل إلى الحب الحقيقي، ويتحدث فيها أفلاطون بنفحة ميثولوجية أحياناً عن الحب، من حيث كونه شيطانياً؛ فالإله إيروس كما يتصوره هو ابن إلهة الفقر «بينيا» Penia، وإله الرفاه «بوروس» Poros، اللذان وقع اللقاء الجنسي بينهما على خلفية حفل حضرته «بينيا» تتوسل الصدقة، قبل أن يختلي بها «وروس» المخمور جنسياً، وتكون المحصلة هي الإله «إيروس».

2- وما يمكن أن يُستخلص من «المأدبة»، ذلك الارتباط بين مفهوم الحب ونظرية المعرفة الأفلاطونية، وكذلك نظريته في الجمال، حيث يعرف الحب بكونه محاولة لاقتناص الجمال، إنه سعي إلى الجميل والرائع، والنموذج الراقى منه، هو الفيلسوف أو مُحِب الحكمة، وهو الذي يرقى فوق العالم الحسي في مراحل، فيبدأ بمرحلة حب نماذج الجمال الحسية الفردية ثم ينتقل إلى حب الجمال الحسي عامة، ومنه إلى جمال الروح، ومنه إلى الجمال الروحي عامة، ومنه إلى جمال المعرفة، وأخيراً يرقى إلى مشاهدة مثال الجمال ذاته الذي يتيح له معرفة كاملة بحقيقة الكون بأسره. ذلك هو الحج العقلي الذي جاء وصفه كاملاً في كتاب «الجمهورية»، والشئ الجديد في «المأدبة» هو أن ذلك الحج إنما يتم بإلهام من الحب وبدافع منه. وتصفه ديوتيميا بلغة التصوف والأسرار الدينية، ويرجع هذا إلى سببين اثنين: أنه حج يتم على مراحل شبيهة بالترقي الصوفي، والثاني أن الرؤية الأخيرة تجربة روحية أكثر منها تجربة عقلية شبيهة بالكشف الصوفي، لا يمكن وصفها أو التعبير عنها باللغة العادية، والمرشد للروح المُحِب يقابل الكاهن في الأسرار الدينية.

3- في هذه المحاور يضع أفلاطون على لسان سقراط- كما هي عاداته- أن الحب ليس سيد الكائنات الجنسية، بل إنه ليس أحد الآلهة حتى الثانويين منهم، وإنما هو كائن بين الآلهة والأناس، أي أنه قوة فوق الإنسانية وتحت الألوهية، وأنه على كل صورته يعبر عن انفعال مباغت أو وثوب مفاجئ غير محدد يحمل الإنسان نحو جمال ما، أو نحو خير غير معروف. وهو- حسب الناحية التي يحملها إلها- يمكن أن يكون بالنسبة إلى صاحبه مصدرًا من مصادر الرفعة أو منبعًا من منابع الهبوط، وهذه المصادر تُعد تجسيدًا ماديًا للحب، سواء من الجانب الحسي، أو من الجانب الروحي.

هذه الثنائية دفعت أفلاطون إلى الاعتراف في محاوره «فيدروس» بأن الغاية القصوى للإيروس أو الحب هي بلوغ الخلود، وهو خلود يضيف على فلسفته في الحب طابعًا صوفيًا، عندما تقرأ قراءة روحية، وطابعًا اجتماعيًا أسريًا عبر تربية الأبناء، عندما تقرأ قراءة مادية.

4- ومن بين الأفكار الجميلة في المأدبة، تلك التي جاءت على لسان أريستوفان Aristophane، وهو يتحدث عن تطور فكرة ازدواجية الجنسية، وهي النظرية القائلة بأن الناس في القديم كانوا يتمتعون بالبدايتين الذكورية والأنثوية في آن معًا. غير أنهم ارتكبوا ذنبًا في حق زيوس، فقسمهم إلى جنسين منفصلين، رجال ونساء. ومنذ ذلك العهد يسعى الناس بشوق ولهفة، لكي يعثر أحدهم على النصف الآخر، كي يعودوا إلى الكلية الأولى.

ويشير فيدروس إلى قدم وعظم هذا الإله: «الحب هو أكبر الآلهة سنًا وأنبليهم وأقواهم، وهو الموحد الرئيسي لكل الأشياء، وواهب الفضيلة والسعادة، والحياة بعض الموت، غير أن بوزنياس يرى أن تصور فيدروس عن الحب يفتقر للدقة، ذلك أنه اكتفى بتناول جانب من جوانب الحب، وأغفل طبيعته المزدوجة، ولأن الحب غير منفصل عن الإلهة أفروديت، فالحب إذن حبان، حب مرتبط بالآلهة أفروديت العامة أو المبتذلة، وهو حب مشاع بالضرورة، ويحرك النوع الأحر من الرجال فيتخطى حيم حب النساء إلى حب الشباب، ويغرمون بالجسد بدل الروح، وهم يقومون بفعل الخير والشر بدون أي تمييز، أما أفروديت السماوية فإن نسلها لم يولد من الأنثى بل من الذكر، لذلك فإن هذا الحب المرتبط بها، يستميل قلوب العاشقين للذكاء الفطري والتوهج والبسالة، وهي صفات مرتبطة حصراً بالرجال في مجتمع أثيني ذكوري.

ويختلف الشاعر أجاثون مع رأي فيدروس، الذي اعتبر إيروس من أقدم الآلهة وأكبرهم سنًا، يؤكد أجاثون على فتوة الحب، فهو الممتلئ شبابًا، وعظمته تتجلى في أنه ملهم الشعراء، بل هو شاعر في ذاته، والحب خير وجميل ومصدر للفرقة والترف والنعموة والرشاقة.

وأخيرًا يقول سقراط: إن الحب يكون دائمًا حبًا لشيء ينقصنا أو نحن محرومون منه، وهو يخص ما يفضي بنا للأشياء الجميلة والخيرة، لأن الجمال والخير ما يُحبان، فمن امتلاك الأشياء الجميلة والخيرة تنتج السعادة التي تعتبر آخر محطات الرغبة، ولا صعود بعدها أكثر. وبما أن البشر كلهم، بدون استثناء، يتمنون أن يكونوا سعداء، فإنهم كلهم يتوقون إلى امتلاك حالة حُرُموا منها، وبالتالي يمكننا القول عن الكل أنهم محبوبون.

بناءً على هذا التصور الأفلاطوني للحب، والذي يضع تجربة الحب في صلب سؤال الوجود والمعرفة، يمكن القول إن التجربة الإيروسية تمثل تحديًا معرفيًا وأنطولوجيًا لكل إنسان لمس إيروس قلبه، ذلك أنها تستدعي في المحب الكثير من الشجاعة

والمسؤولية لكي يكون مؤهلاً لتبني خياراً يطبقه من استكناه جوهر الحب والقبض على ماهيته المفارقة لعالم المحسوسات، فالحب لا يقود إلى الجمال والخلود إلا النفوس المتعطشة للامسة الجمال المطلق والإبحار في عوالم الأبدية والخلود، أما النفوس الخاملة فلا يقذف فيها هوس الحب لأنها لم تبلغ بعد درجة الفيلسوف، الممتلئة بنفسه جمالاً وفضيلة.

المصادر والمراجع

1. أفلاطون(1994) المحاورات الكاملة، نقلها إلى العربية شوقي داود وتمراز الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، محاورات الأدبية – الجزء الرابع.

2. الألوسي، حسام محي الدين(1981): بواكير الفلسفة قبل سقراط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2.

3. سوزا ، رونالد(2018)، الحب مقدمة وجيزة، ترجمة رندة بعث، هيئة البحوث للثقافة والآثار، الطبعة الأولى، البحرين.

4. محسن، اندرو(2017)، تعريف الحب والصدقة وما بينهما، www.Manshoor.com

5. بوالراس، مادية أفلاطون: نحو اصغاءات جديدة، مؤسسة بلا حدود للأبحاث والدراسات،

www.Mominoun.com

6. المنياوي، أحمد(2010)، جمهورية أفلاطون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1.

7. الخولي، هدى(2007)، المادية لأفلاطون، رابطة الصداقة اليونانية المصرية، أثينا.

8. أفلاطون(2019)، المادية، فلسفة الحب، ترجمة وليم الميري، أقلام عربية للنشر والتوزيع.

9-Al-Farah. Fawzia(2025), Mythology and its Influence on the Emergence of Greek Philosophy, University of

Zawia - Rewaq Alhkma Journal (UZRHJ), Volume 9, Issue 2, 9(2), 287–306.

<https://doi.org/10.26629/uzrhj.2025.18>